

خطب منـ ية للشيخ عبد القادر بن مولود

جمعها: أ. جمال مرسلي

الجـزء الأوّل



62. أحوال النّاس مع الدّنيا والآخرة

27 ذو القعدة 1380هـ الموافق 12 ماي 1961م

الـحمد لله الّذي انفرد بخلق هذه الكائنات، وتكـرّم علـيكم بكثـير مـن الـنّعم والــخيرات، وخصّكم بأعظم الفضائل والـميزات، فاحـمدوه علـى نعمـائه، واعملوا بمـا في كتابـه، حتّـى تكونوا من الّذين اهتدوا فآتاهم تقواهم، وأشهد أن لا إله إلّا الله، ضرب لنـا الأمثـال بـأمم مـن قبلنا؛ لنكون على بيّنة من أمرنا، وحتّى نتمكّن من إصلاح شؤوننا وحالنا، {أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَـرُوا السَّـيِّئَاتِ أَنْ يَـخْسِفَ اللهُ بِــهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَـأْتِيَهُمُ الْعَـذَابُ مِـنْ حَيْـثُ لَا يَشْـعُرُونَ (45) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِـي تَقَلُّبِهِمْ فَمَـا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (46) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَـى تَــخَوُّفٍ فَـإِنَّ رَبَّكُـمْ لَـرَءُوفٌ رَحِيمٌ (47)} [النحل: 45 – 47]، وأشهد أنّ مـحمّدًا عبده ورسوله، الّذي أقام لنا شعائر هذا الدّين، وأبان لنا الطّريق الـمستقيم، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وأصحابه الّذين امتثلوا لطاعته، وساروا على هديه وسنّته، حتّى كانوا مثلًا أعلـى فـي حسن أخلاقهم وسيرتـهم.

أمّا بعد: فإنّ أهمّ شيء فـي حياة الإنسان هو تـحسين نظريّاته، والتّأمّل فيمـا يُكسبه الــهداية والسّداد فـي سائر أعمـاله ومواقفه، والتّجرّد عن كلّ ما يعرقـل سيره، ويمنعـه مـن الوصـول إلـى أهدافه الدّينيّة والدّنيويّة.

وإنّ الإخلاص في العمل والاهتمام بإصلاح الظّاهر والباطن هي من الأسباب العظيمة الّتي تقي الفرد من الضّعف والتّقهقر، وتعلو بالمجتمع إلى أعلى القمّة في حياته، وهي -أيضًا- من الدّواعي الّتي تحفظ كيانه، وتبعث فيه روح التّضحية والتّفاني، وسلوك المواقف الّتي تشرّفه في عاجله وآجله.

غير أنّنا نرى النّاس يندفعون نحو الدّنيا بما يرون من زخارفها وبهارجها بدوافع قويّة؛ لِمَا لها من قوّة الجاذبيّة، واستيلائها على ظاهر الإنسان وباطنه، كأنّه الماء الجاري الّذي يساعده المنحدر ويزيد في سرعته.

أمّا الجانب الأخرويّ فلا ينجذب له النّاس إلّا الأقلّ منهم؛ لاستيلائه على ظاهر الإنسان فقط، ولأنّه يكاد يشبه الماء الّذي وجّه إلى مكان عالٍ من الأرض، ولا يرتفع إلّا بدافع من الأسفل إلى الأعلى؛ ليعينه على السّير والصّعود إلى تلك الرّبوة، وهكذا لا يمكن أن يعمل الإنسان لصالحه الأخرويّ إلّا بدوافع قويّة، مثل التّرغيب والتّرهيب، وغيرهما من أنواع التّذكير والمواعظ، كما يقول الله -جلّ شأنه-: {وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ} [الذاريات: 55].